انتشار الاسلام

بعد أن ثبتت أقدام المسلمين في بلاد العرب، وترسّخت مبادىء الدين في قلوب أبنائه انطلق المسلمون خارج الجزيرة يُؤدّون المُهمّة الملقاة عليهم بإخراج الناس جميعاً من الظلمات إلى النور بعبادة الله الواحد الأحد، وترك كل ماسواه من عبادة المخلوقات، وبالقضاء على الظلم والطغيان واجتثاث المصادر لهما في بقاع الأرض كلها، وبالقضاء على ضيق الدنيا في النفوس إلى رحابتها، ومن جور الأديان إلى عدالة الإسلام.

ورفع المسلمون راية الجهاد، وانطلقوا إلى كل جهةٍ يُقوّضون ركائز الظلم، واستطاعوا بحركةٍ سريعةٍ أن يدكّوا دولة فارس نهائياً، وأن يُزيلوا كل ما كانت ترمز إليه من معاني البطش والسيطرة، كما تمكّنوا من تحطيم جبروت دولة الروم حيث انتزعوا منها الشام، ومصر، وشمالي إفريقية، وكما جعلوها تنحسر عن أراضٍ شاسعةٍ، وتتنزل عن كبريائها جعلوها تنزوي في بقاعٍ محدودةٍ، وتشعر بالذلّ والفشل بعد الهزائم التي مُنيت بها، والأقطار التي انسحبت منها، وتخلّت عنها صاغرةً.

كانت هناك قمتان لحركة الجهاد والفتح الإسلامي، أولاهما في عهد الخلفاء الراشدين أيام أبي بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم حيث استطاعت الجيوش الإسلامية في هذه المرحلة أن تفتح الشام، والعراق وفارس، وخراسان، وأذربيجان، وداغستان، وأرمينيا، هذا في قارة آسيا، أما في قارة إفريقية فقد تمكّنت من فتح مصر، وبعض بلاد المغرب. أما القمة الثانية فقد كانت في عهد بني أمية وخاصةً أيام الوليد بن عبد الملك، وذلك بعد أن توقّف الفتح الواسع ما يقرب من ستين سنةً نتيجة ما حدث في الأمصار داخل المجتمع الإسلامي من خلافاتٍ، وشيء من الانصراف إلى الدنيا والتمسّك بالرأي، وتمّ في هذه المرحلة الثانية فتح بلاد ما وراء النهر، وطرق أبواب الصين بالوصول إلى أقصى بلاد الترك «تركستان»، وضمّ بلاد السند، وغزو القسطنطينية، وهذا ما حدث

في آسيا أما في الجبهة الغربية فقد فُتحت الأندلس، ووصل المسلمون إلى أواسط فرنسا، كما توسّعوا في بلاد المغرب إذ وصلوا إلى اسواحل المحيط الأطلسي وامتدّ سلطانهم داخل القارة قليلاً.

ولم يحدث بعد هذه المرحلة من فتوحاتٍ واسعةٍ إلا ما كان من الغوريين الذين دخلوا بلاد البنغال في القرن السادس الهجري، ومن العثمانيين الذين توغّلوا في أوربا، وهناك فتوحات على نطاقٍ ضيقٍ، كما حدث في جزر البحر المتوسط، وأماكن أخرى. هذا انتشار الإسلام عن طريق الفتح، أما عن طريق التجارة والدعوة فله شأن آخر، إذ حدث بعد هذا الفتح وتمّ على مرحلةٍ طويلةٍ، وإذا كان قد شمل مساحاتٍ واسعةٍ وضمّ أرجاءً شاسعة إلى العالم الإسلامي حيث غدا أكثر سكانها من المسلمين كما هي الحال في أندونيسيا، وماليزيا، والمالديف في قارة آسيا، والصومال، وشرقي إفريقية وجزرها، كزنجبار، والقُمر، وبمبا، ومافيا وغيرها، ومعظم غرب إفريقية وبعض جهات في الوسط منها.

ركّز المسلمون أمورهم في البلدان التي دخلوها حيث أقبل السكان على الإسلام أفواجاً لأنه دين الفطرة، وفي مبادئه ما يحلمون به من مُساواةٍ، وحريةٍ، وعدالةٍ، وأمنٍ، ولم يمض إلاّ وقت قصير حتى غدا الإسلام دين الأكثرية، ولم يبق في هذه البلدان إلا المسلمون وأهل الكتاب ومن يلحق بهم من المجوس، وهؤلاء الذين هم من غير المسلمين وهم الذين يدفعون الجزية، لم يسمح ببقاء غيرهم في ديار الإسلام لقوله تعالى ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا اليوم الآخر ولا يُحرّمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحقّ من الذين أوتوا الكتاب حتى يُعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون﴾.[1] أما السكان الذين لم يقبلوا الإسلام، ولم يكونوا من أهل الكتاب، أو المجوس أي كانوا من أهل الوثنيات الذين يعبدون المخلوقات فعليهم أن يرحلوا عن الأمصار التي يحكمها المسلمون، وإن يفعلوا، وأرادوا التشبُّث في ديارهم فإن على المسلمين قتلهم لقوله تعالى: ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحُرُم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخُذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصدٍ، فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلّوا سبيلهم، إنّ

(١) سورة التوبة الآية ٢٩.

الله غفـور رحيم﴾.(١) ولـذلـك نرى اليوم أن الأمصار الإسلامية التي دخلها المسلمون فاتحين لا يوجد بين سكانها إلا من كان مسلماً أو من أهل الكتاب ومن يلحق بهم من المجـوس، وتخلو تماماً من أهل الوثنيات من هنادك، وبوذيين، وكـونفـوشيين، وشنتـويين، وعبـدة قوى الـطبيعـة من أشجار، وصخور، ومن الطوطميين الذين يعبدون الحيوانات والحشرات الحقيرة ويعدّون أنفسهم ينتمون إليها، وترتبط القبيلة جميعها بهذا الطوطم.

أما الأمصار التي عمّ فيها الإسلام عن طريق التجارة أو الدعوة فقد بقي فيها بعض الوثنيات والمشركين ولو كان الإسلام الدين الرئيسي في البلاد، ويُشكّل المسلمون غالبية السكان كما هي الحال في اندونيسيا في قارة آسيا ، وذلك لأن الإسلام قد انتشر تدريجياً، ولم تكن لأهله الهيمنة والسيطرة إلا بعد مرور زمنٍ عندما أصبحوا يُؤلّفون الأكثرية، ولما أصبحوا كذلك تسلّط عليهم المستعمرون الصليبيون الذين كان أمرهم قد قوي، وتمكّنوا من إخضاع المسلمين لنفوذهم، فطبّقوا تشريعاتهم وقوانينهم الوضعية، أو أن المسلمين أنفسهم كانوا غير مُؤهلين لذلك إذ انصرفوا إلى دنياهم وغطّوا في نومهم في الأمصار الإسلامية كلها بما في ذلك المركز الذي انطلق منه الإسلام، والذي يجب أن يكون مركز إشعاع يمدّ المسلمين دائماً بشحناتٍ من القوة، وينطلق أمامهم يرفع راية الجهاد والعمل للدعوة، وليس معنى هذا أن يظلّ المسلمون في بقية الجهات تبعاً لذلك المركز، لا ، بل يمكنهم الانطلاق، والسبق، وحمل اللواء. ولكن ينظر المسلمون عادةٍ إلى مكان انبثاق الدعوة نظرة حبٍ وتقديرٍ، ويعملون على التقليد والسير على الخطا، فإذا كان المركز يومذاك في جهلٍ وغفلةٍ، وفي ضعفٍ واسترخاءٍ فالأمر طبيعي أن يكون الهامش المقلّد أكثر من ذلك، ويجب ألا نغفل أيضاً أن المسلمين الذين اعتنقوا الإسلام حديثاً قد أخذوه وأهله في حالةٍ من الضعف، ودانوا به وهم في وضع من الهزيمة، ولذا لم يتفهّموا مبادئه بشكلٍ صحيحٍ، ولم يُطبّقوا أحكامه بصـورةٍ واضحةٍ فبقي بينهم وثنيون، وظلّ بينهم مشركون، عملوا في المجتمع إفسـاداً، وفي العقيدة وخـزاً ونخـراً، وكـانوا دائماً ضد المسلمين ومع أعدائهم عليهم، ومعنى هذا كله أن الإسلام لم يحكم في هذه الأمصار التي لم يدخلها

(١) سورة التوبة الآية ٥.

الإسلام فاتحاً وإنما منتشراً في وقتٍ ضعُف فيه أبناؤه فكأنه جاء مُتسللاً.
وكذلك فإن المسلمين قد حكموا الهند ولكن الإسلام لم يحكم، ذلك أن أهله قد تمكّنوا من بسط نفوذهم على تلك المنطقة الواسعة وحرصوا الحرص كله على بقاء سيطرتهم من غير اهتمام على اعتناق السكان للإسلام، لقد دخل المغول الهند في مطلع القرن التاسع الهجري واستطاعوا إخضاع مقاطعات الهند كافةً وحاولوا إبقاء حكمهم بالوسائل كلها حتى إن «أكبر خان» عمل على إرضاء الهندوس فأمر بمنع ذبح البقرة، وسمح بزواج المسلمات من الهندوس، والمسلمين بالهندوسيات بل أراد إيجاد دينٍ جديدٍ من الاسلام والهندوس، ومع أن حفيده قد عمل على إبطال هذه المنكرات والعمل للإسلام غير أن الخط العام كان هو المحافظة على السلطان، وكذلك فإنه في الوقت الذي دخل فيه المغول الهند كان المستعمرون الصليبيون من برتغاليين، وانكليز، وفرنسيين، وهولنديين يطرقون أبواب البلاد من الشواطيء ويعملون على التسلّل إلى الداخل حتى تمّت لهم السيطرة على الهند بعد أن استخدموا مختلف الوسائل من خداعٍ، ومكرٍ، واتفاقاتٍ مع الأمراء، وإغراءاتٍ لبعض الأهالي، وإفساد السكان لإضعاف المقاومة. ولما لم يحكم الإسلام لم تظهر محاسنه ومبادئه السامية، ولم يُقبل عليه السكان، وبقي المسلمون أقلية في ذلك البلد الواسع رغم أنهم يحكمونه. ولما كانت هناك محاولات لاسترضاء الهندوس وتقريبهم لذا لم يجدوا دوافع لاعتناق الإسلام وترك خرافاتهم، بل على العكس كانوا يستعلون أحياناً رغم ذلّهم ووثنيتهم، ولما جاء المستعمرون الصليبيون قرّبوا الهنادك، وعملوا على إبعاد المسلمين، وبذلوا جهودهم لإفقارهم بمصادرة أملاكهم ومؤسساتهم، كما حرصوا على إبقائهم في حالةٍ من الجهل بإلغاء مدارسهم و.... وهذا مازاد من إبداء الهندوس بعض القوة رغم ضعفهم وهزيمتهم النفسية لما هم عليه من خمولٍ وكسلٍ، وما في عقيدتهم من خرافاتٍ وأوهامٍ، وهكذا وجد المسلمون أقلية في الهند رغم كثرتهم العددية، لكن جموع الهند الكبيرة تُبقي نسبتهم ضعيفةً. وهكذا لا يكفي أن يحكم المسلمون لو كان لابّد من تطبيق التشريع الإسلامي الذي يُعطي القوة، وتظهر فيه معاني المساواة، والإحسان، والعدل، ويُنشر الأمن والرخاء وليست الأهمية بالرجال ولكن الأهمية كل الأهمية بالنظام، ولا تُعرف قيمة أي نظامٍ إلا بتطبيقه.

وفي إفريقية فتح المسلمون الأوائل مصر وبلاد المغرب وأجزاء من السودان،

وتبعت هذه النواحي للدولة الإسلامية التي تُطبّق شرع الله بأخذ الجزية من أهل الكتاب ومن يتبعهم إن وجدوا، وعدم إبقاء ماسواهم في ديار المسلمين لذا لا نجد في هذه الأجزاء غير هؤلاء الأصناف كبقية كل البلدان التي دخلها المسلمون فاتحين. وانتشر الإسلام فيما بعد عندما ضعفت دولة الإسلام، عندما اهتزّ النظام ولم يبق من تطبيق الشرع إلا جوانب منه عندها انتشر الإسلام في مناطق كثيرةٍ عن طريق التجارة، كما هي الحال في شرقي إفريقية، وقد عمّ الإسلام في المناطق التي كانت آخر المحطّات مثل جزر القُمْر، وجزر بمبا، وزنجبار، وبلاد الصومال، وأجزاء من شرقي إفريقية كسواحل كينيا، وتانزانيا اليوم، كما انتشر عن طريق الدول التي أقامها المسلمون في غربي إفريقية وعمّ مناطق واسعةٍ هناك، وعن طريق الدعوة، وعن طريق القبائل إذ أن إسلام أحد زعماء القبيلة قد يُؤدّي إلى إسلام معظم أفرادها إن لم يكونوا جميعاً، وعن طريق الانتقال من الشمال إلى الجنوب سواء أكان للتجارة أم للرعي أم للتحرّك الجماعي وتغيير منازل القبيلة. ولكن هذا الانتشار قد أبقى أعداداً من الوثنيات ضمن المناطق التي حكمها المسلمون وذلك لأنه لم يُطبّق فيها النظام الإسلامي إذ انتشر فيها الإسلام تدريجياً، ولم تكن السلطة لأبنائه، وعندما كثر المسلمون وأصبحت لهم الكلمة لم يعملوا على تطبيق الشرع لأنه كان قد انحسر من النفوس حتى من الأمصار التي فتحها المسلمون الأوائل، فلم يبق للمسلمين الجدد قُدوةٌ يهتدون بها، وتُنير لهم طريق العمل بالإسلام، ولم يروا من سابقيهم ما يُظهر محاسن النظام ومبادي الإسلام، هذا إضافةً إلى أنه لم يمض الوقت الكافي حتى جاء المستعمرون الصليبيون فحالوا دون تطبيق الإسلام، وعملوا على الحدّ من انتشاره، ووقفوا في وجه تعليم أهله، وأشغالهم، وتعاطيهم أسباب الصحة ليبقوا جهلة، فقراء، مرضى ولينعت الأعداء هذا الوضع بالإسلام فينفر منه السكان، ويجدوا في النصرانية ديانة المستعمرين أسباب القوة، والعلم، والصحة بما يقدّمه الصليبيون من دعمٍ لمن يعتنق ديانتهم، وهكذا بقي المسلمون أقلية في بعض الأقطار، وبعيدين عن تطبيق الإسلام في الأمصار التي ترتفع فيه نسبة أتباعه.

أما أوربا فقد دخلها المسلمون فاتحين حيث دخلوا الأندلس والجزء الجنوبي من فرنسا، ومعظم جزر البحر المتوسط غير أنهم عادوا فانسحبوا من فرنسا، وبدأ الاستعمار الصليبي بإخراج المسلمين من الأندلس، ثم تابع الصليبيون زحفهم

على المسلمين في جزر المتوسط حتى العصر الحديث فأبادوهم في مناطق، وطردوهم من أخرى، ولم يبق من آثار ذلك سوى أقليةٍ في قبرص، وبعض من يدّعي الانتماء إليه في جزيرة مالطة. غير أنه عندما قامت دولة بني عثمان في الأناضول استطاعت أن تتقدّم في أوربا بسرعةٍ، وتمكّنت من طرق أبواب فيينا وحصارها أكثر من مرةٍ ولكن لم يلبث أمرها أن ضعف، وانحصر نفوذها في جنوب شرقي أوربا، وحرصت على نشر الإسلام غير أنها لم تفلح لأسباب كثيرةٍ منها:

١ ـ أنه في الوقت الذي انطلقت فيه الدولة العثمانية في أوربا كانت تلك القارة قد بدأت تقوي ويشتدّ ساعدها فوقفت في وجه العثمانيين، وحرّضت شعوبها باسم الصليبية.

٢ ـ تحريض أوربا للنصارى الذين يعيشون تحت سلطان الدولة العثمانية، وإثارة العاطفة الدينية عندهم، وتقديم الأماني لهم، والمساعدات الدائمة، وطرح بركات البابا عليهم إن التزموا بتوجيهات الدول النصرانية

٣ ـ أمل النصارى الذين يعيشون في ظلّ الحكم العثماني في عودة النصارى إليهم وإعطائهم السلطة، وظنّ كل فردٍ أن حظّه سيكون وفيراً.

٤ ـ عدم توفّر الإمكانية التامة للدعوة الإسلامية لدى الدولة العثمانية مع وجود العاطفة الشديدة للدعوة.

٥ ـ عدم إعطاء الصورة المشرقة للنظام الإسلامي لعدم تطبيقه بالشكل الصحيح.

ولما لم يجد العثمانيون الإقبال الجيد على الإسلام في البلدان التي دخلوها لجأوا إلى وسائل أخرى علّهم يفلحون في كسب أعدادٍ إلى الإسلام ومن هذه الوسائل

١ ـ نقل مجموعات من الأتراك من الأناضول إلى جنوب شرقي أوربا للإستقرار فيها والعمل للدعوة الإسلامية. غير أن هذه الطريقة قد أوجدت ردّ فعلٍ لدى السكان إذ نظروا إلى الأتراك القادمين نظرة المنافسين لهم على الأرض والديار أو نظرة الاستعمار.

٢ ـ إعطاء الولاة الصلاحيات الواسعة لبناء المساجد، والدعوة، وتقديم المساعدات، والمنح، وإن أعطت هذه الوسيلة نتائج إلا أنها كانت نتائج ضعيفةً، لأنها تحتاج إلى ولاة صالحين، وقليل ماهم، وقد أثّر الصالحون فعلاً.

٣ ـ تشجيع المسلمين سواء أكانوا جنوداً أم منتقلين على الزواج بفتيات من السكان لتوطيد العلاقة مع الأسر الأوربية فلعلّه تحدث رغبة للدخول في الإسلام ، ولم يكن لهذه الوسيلة أثر كبير لانكماش الأوربيين تحت تأثير الصليبية.

٤ ـ إظهار القوة أحياناً غير أن هذا كان له فعل عكسي وخاصةً إن كان الولاة لا يتخذون الحكمة في استعمال القوة أو يضعونها في غير مكانها.

وهكذا بقي المسلمون أقلية في جنوب شرقي أوربا، وتتألف هذه الأقلية من:

أ ـ الفئات التي أسلمت من أبناء البلاد، وهي قليلة.

ب ـ المجموعات التركية التي استقرت هناك، وبقيت في أماكنها عندما انسحب العثمانيون من جنوب شرقي أوربا، وقد تعرّضت هذه المجموعات إلى الاضطهاد والطرد بعد زوال سلطان بني عثمان ولا يزال يتعرّض من بقي منها إلى الآن

جـ ـ المجموعات التي تعود إلى أصل إسلامي قبل أن تنتقل إلى جنوب شرقي أوربا مثل «البوشناق» و «الكومان» في يوغوسلافيا، والباشفرد» في المجر، وكانت هذه المجموعات قد اعتنقت الإسلام في القرن الثالث الهجري وأوائل القرن الرابع عندما كانت في مواطنها الأولي في «بلاد البلغار» القديمة والواقعة في حوض نهر الفولغا. فلما انتقلت إلى جنوب شرقي أوربا أهملت عقيدتها التي لم تترسّخ في نفوسها بالأصل. فلما جاء العثمانيون عاد هؤلاء إلى الإسلام، ومنهم سكان البوسنة والهرسك في يوغوسلافيا، وأبرزها قبائل البوشناق التي أعطت أسمها لمقاطعة «البوسنة» ثم قبائل الكومان.

د ـ الألبان الذين تأثّروا بالمسلمين القادمين إليهم من منطقة البلغار رغم سطحية إيمانهم، فنشأت عندهم كنيسة جديدة تدعى «البوغوميل» تختلف عن كل الكنائس النصرانية، فلما جاء العثمانيون اعتنق الألبان الإسلام، وتعدّ ألبانيا الدولة الوحيدة في أوربا ذات الأكثرية المسلمة، كما يُقيم الألبان في إقليم «كوسوفو» الذي يتبع جمهورية صربيا الاتحادية في دولة يوغوسلافيا.

هـ ــ الباماك وهم من الفئات المستضعفة، ويُقيم أكثرهم في بلغاريا، ويُعرفون أيضاً باسم «الغجر»
و ــ التتار الذي دخلوا في الإسلام وانتشروا في شرقي أوربا.

أما بقية الدول الأوربية في العصر الحديث فتكاد لا تخلو دولة من أقليةٍ مسلمةٍ الذين انتقلوا إليها للعلم، أو العمل، أو التجارة، أو رحلوا مُشرّدين وتوزّعوا هناك.

وفي قارة أمريكا وصل إليها مسلمون مستطلعين، ومن وصل إليها أقام بها إذ ربما عجز عن العودة أو خشي الطريق بعد أن رأى اهوال في ذهابه، فلما وصل إليها المستعمرون الصليبيون أبادوا من وجدوا فيها من المسلمين إذ كانوا في ذلك العام في صراعٍ مع المسلمين في الأندلس وقد تمكّنوا من طردهم منها، وطلائع الصليبيين إنما جاءوا إلى أمريكا من الأندلس «اسبانيا والبرتغال» وهكذا خلت أمريكا من المسلمين في تلك المرحلة من الزمن.

ثم أخذ مسلمون يُخفون إسلامهم في الأندلس خوفـا من طغاة الحكام فيها من إسبانٍ وبرتغاليين ينتقلون إلى هذا الجزء من العالم الجديد مع من ينتقل إليها من أبنـاء بلدانهم، ومنهم من أظهـر الإسـلام هنـاك وناله من أنواع العذاب والاضطهاد ما ناله حتى لحقت التصفية الجسدية الكثير منهم، ومنهم من حافظ على إخفـاء ما يُؤمن به حتى ضاعت العقيدة في الأجيال الـلاحقة وربما بقي بعضهم يضمـر الانتـماء إلى الإسلام دون أن يكون له منه شيء حتى الوقت المعاصر حتى زالت موجة السخط، وإن أُعطيت الحرية الدينية مع بقاء الحقد مُغلغلاً في القلوب.

وفي العصر الحـالي وصـل المسلمـون إلى أمريكا الشمالية للعلم، والعمل، والتجـارة، ومُمثّلين لأمصارهم، كما وصل إليها مُشرّدون منهم، وعاشوا هناك، ووصل إلى أمريكا الجنوبية من المسلمين من انطلق للعمل والاستقرار.

ووصل المسلمون إلى قارة أوقيانوسيا للأسباب نفسها التي جعلتهم يتّجهون إلى أمريكا الجنوبية، وإن كانوا بأعدادٍ أقلّ.

وهكذا وجدت أقليات مسلمة خارج إطار العالم الإسلامي تختلف في نسبتها بين السكان، وتتباين في أوضاعها، وإن كانت تتقارب في أكثر الأحيان في مشكلاتها حيث تواجه هجوماً عنيفاً عليها، وتلقي اضطهاداً، ولا تجد دعماً أو نصيراً في معظم الأوقات.

انتشار الاسلام في قارة آسيا

وصل المسلمون في فتوحاتهم الأولى أي في القرون الهجرية الأولى في قارة آسيا إلى شرق بلاد السند، وبلا الترك «تركستان» من ناحية الشرق، وهي حدود العالم الإسلامي الشرقية اليوم لا يشذّ عن ذلك سوى منطقة البنغال التي فتحها الغوريون في القرن السادس الهجري، وأندونيسيا وماليزيا اللتين عمتهما الإسلام عن طريق التجارة.

كما وصل المسلمون فاتحين في ناحية شمال القارة الأسوية إلى شمال بلاد ماوراء النهر، وإلى شمالي بلاد الداغستان وهي حدود أمصار العالم الإسلامي اليوم من جهة الشمال لم يزد عليها سوى بلاد القفقاس التي عمّها الإسلام عن طريق الدعوة في أيام الدولة العثمانية.

أما من ناحية الغرب فقد انتشر فيها الإسلام منذ بداية أمره إذ انطلق من جزيرة العرب التي عمّها الإسلام منذ أيام رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أما بلاد الشام، والعراق، وتركيا بأكثر أجزائها الجنوبية والشرقية فقد دخلها المسلمون فاتحين منذ أيام الخليفتين الراشدين الأولين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ولم يزد على ذلك في حدود العالم الإسلامي الغربية في قارة آسيا سوى ما ضمّه السلاجقة من أواسط الأناضول، وما فتحه العثمانيون من بقية أجزاء تركيا الغربية حتى القسطنطينية.

وتوقّفت الفتوحات الإسلامية لانصراف الناس إلى دنياهم، واكتفائهم بما حصلوا عليه من مغانم، ومما يأتيهم من خراجٍ، وبما يعمل لهم مماليكهم، غير أن بعضهم لم يقنع بما نال إذ يجد مُتعةً في العمل فلابّد من أن يُزواله، كما أن

الإسلام يفرض على أبنائه العمل سواء أكانوا أغنياء أم فقراء لأن الفرد ملك للأمة وليس مرتبطاً بشخصه وهواه، ويجب أن يُنتج لأمته مهما كان ميسوراً. فلما توقّفت الفتوحات ولم يعد للرجال شاغل يُؤدّون فيه واجبهم ومهمتهم الملقاة على عاتقهم في الحياة من جهادٍ ومُقارعة للأعداء انصرف عدد إلى مزاولة التجارة، واتجه عدد آخر إلى الدعوة بل نستطيع أن نقول: لم تكن الدعوة لتنفصل عن عمل المسلم أياً كان نوعه، فالمسلم يدعو إلى الله أينما وجد، وفي أية مهنةٍ كان يزاول، غير أن الذين كانت التجارة وسيلتهم اتجهوا إلى ركوب البحر وحملوا معهم البضائع، وغالباً ما تكون الرحلات جماعيةً على حين أن الذين انصرفوا إلى الدعوة لاهمّ لهم سواها فقد ساروا في البر وامتطوا ظهر البحر، ساروا منفردين، وانطلقوا مع مجموعاتٍ، وارتحلوا جماعاتٍ، وربما امتهن بعصهم التجارة في بعض أوقاته إن وجد فيها وسيلة للصلة مع الناس أو دعته الحاجة وظروفه المادية.

التجــارة البحــرية

ركب التجار المسلمون البحر وحملوا معهم بضائعهم، ورحلوا والأمل يحدوهم بالنجاح في مهمتهم لنشر الإسلام. وتنطلق السفن، ويتوكّل ركابها على الله يبغون تجارةً لن تبـور، وتصـل الفلك إلى المحـطّات، وينزل منها التجار، ويتلقّاهم نظراؤهم من أهل البلاد يبتاعون منهم ويبيعون فيجدون فيهم الصدق، ويرون فيهم الاستقامة، ويعرفون فيهم الأمانة، ويعلمون أن هذا كله من أثر العقيدة التي يحملونها، فيُحبّب الإسلام إلى نفوسهم، ويدعونهم، ويلتقون معهم فيحسّون منهم الكرامة والعفّة، وينظرون إلى عبادتهم وعلمهم وسلوكهم فيُسرّون مما يرون، ويُصبـح الإسـلام قريباً من نفوسهم، وأهله مُقربين إلى قلوبهم وبعد رحلاتٍ ولقاءاتٍ لا يجد التجار من أهل البلاد أنفسهم إلا وقد دانوا بالإسلام وأصبحوا من أبنائه.

وتنطلق السفن إلى محطاتٍ أُخرى وتتم المقايضات، والمبايعات، واللقاءات كما حدث في المحـطة الأولى، وهكـذا كانت المحـطات التجـارية مراكز لانطلاق الإسـلام، وكلما كانت المحـطات أكثر اتساعاً وأكثر بضائع كان الإسلام أكثر انتشاراً لذا فإننا نلاحظ أن السواحل التي كانت طريقاً للسفن التجارية قد انتشر فيها الإسلام، وهي عادة الشواطيء المُحدّبة والتي تصلح لإقامة الموانيء سواء

لحمايتها من الريح أو لسواحلها التي تُساعد على إقامة المرافيء إذ لا تصل إليها مجروفات الأنهار، أما السواحل المُقعّرة فلا تمرّ منها عادةً السفن لكثرة المجروفات وعدم إقامة الموانيء وطول الطريق حيث تتعدّاها السفن عادة إلى السواحل المُحدّبة الأخرى التي تليها، وكلما كانت إقامة التجار المسلمين في محطات الموانيء أكثر كان الإسلام أكثر ازدياداً.

فإذا ما وصلت السفن إلى آخر المحطّات كانت هناك الإقامة الأكثر طولاً حتى تنفد البضائع إذ لا توجد بعدها محطّات فلا تفكير لبيعها في مكانٍ ثانٍ، وحتى يشتري التجار بضائع جديدة حيث لا توجد بعدها مواقف لأخذ البضاعة منها والحاجات، ثم إن هذه المحطّة هي المقصودة بالذات وهذه البلدان هي المعنيّة بالسفر إليها، وبضائعها ومنتجاتها هي المرغوب فيها لهذا كله تطول الإقامة وتزداد الصلة مع السكان وبالتالي ينتشر الإسلام. ولما كانت أندونيسيا من المواضع التي تُشدّ إليها الرحال للتجارة لذا فقد انتشر فيها الإسلام كثيراً حتى عمّ، وأصبحت أحد الأمصار الإسلامية. وكانت ماليزيا ترتحل إليها السفن بدرجةٍ أقلّ، لذا فقد إنتشر فيها الإسلام بدرجة أقل وكانت مصراً إسلامية غير أن نسبة المسلمين فيها ليست مرتفعةً.

ومن أنـدونيسيا قد تنطلق سفن تجارية ويرتحل دعاة أو يسيروا منفردين إلى السواحل القريبة منها أو الجزر الدانية فانتشر الاسلام في الجزر التي عُرفت باسم الفيلبين حتى حكم المسلمون تلك الجزر إلى أن جاءها الصليبي «ماجلان» وأراد ردّة السكان عن الإسلام وتحويلهم إلى النصرانية الكاثوليكية فقتلوه، ودفنوه في أرضهم، وجاءت بعده الجيوش الإسبانية تترى كلما هُزم جيش تبعه آخر حتى استطاعوا أن يقضوا على المسلمين في الجزر الشمالية، وأن يطردوا من بقي منهم إلى الأجزاء الجنوبية ويحصروهم فيها. وبعد قرونٍ انتهى الاستعمار الإسباني في تلك الجزر فحلّ الاستعمار الأمريكي، وأخذ بعض المسلمين من الجنوب ينتقلون إلى الشمال ويُقيمون حول العاصمة «مانيلا» فوُجدت مجموعة منهم استقرّت هناك، وهكذا بقي المسلمون أقليةً في الفيليبين بعد حرب الإبادة التي شنّها عليهم الاستعمار الإسباني، أقلية حول العاصمة، وأكثرية في الأجزاء الجنوبية.

أما جزر اليابان فلم يصل إليها الإسلام لبُعدها عن مواطن المسلمين الأولى،

وعن مراكزهم الجديدة في أندونيسيا وماليزيا، وبقي الوضع هكذا حتى العصر الحديث حيث اتجه بعض المسلمين إليها وتشكّلت نواة منهم هناك تنمو بشكلٍ طيبٍ.

وأما سواحل البر الآسيوي فقد انطلقت إليه بعض السفن التجارية من أندونيسيا أيضا، وانتشر عن طريقها الإسلام على سواحل فيتنام، وأسّس المسلمون هناك في القرن التاسع الهجري إمارة «تشامبا» التي بقيت عدة قرونٍ خاضت خلالها حرباً شنّها عليها الفيتناميون حتىء تمّت لهم الغلبة فطردوا المسلمين من «تشامبا» فارتحلوا إلى «كامبوديا» حيث ارتفعت نسبة المسلمين هناك بقدومهم.

ووصلت السفن إلى سواحل الصين، وتوقّفت في «كانتون»، وربما وصلت إلى هذا المرفأ سفن قادمة مُباشرةً من بلاد العرب حيث كان قد انتشر الإسلام هناك في وقتٍ مبكرٍ، وقد يكون قبل وصول الإسلام إلى أندونيسيا، ولكن لم تلبث أن رفدت سفن قادمة من «مالاقا» و «أندونيسيا» السفن التي سبقتهم من بلاد العرب فانتعش المسلمون هناك وزاد عددهم، وأقاموا أحياء خاصةً لهم. ووصلت السفن الإسلامية تحمل معها التجار والدعاة إلى «شنغهاي» وضواحيها، وإلى شبه جزيرة «شانتونغ» وإن كانت قليلةً إذ أن الرحلات إلى تلك الجهات كانت قليلةٍ فانتشر الإسلام هناك بأعداد تعدّ قليلةً نسبياً إذا قارناها بالمحطات السابقة لها والتي هي قريبة من المراكز الأولى للإسلام.

ولم ترتحل السفن الإسلامية إلى شمال شبه جزيرة «شانتونغ» لذا لم يصل الإسلام إلى تلك السواحل ذات العروض المرتفعة، وبقي إنتشاره فيما قبل ذلك، وإن كان في الوقت المعاصر قد أخذ الإسلام طريقه إلى كوريا بأعدادٍ قليلةٍ بعد الحرب الكورية عام ١٣٧٤هـ، حيث كان لجنود الفرقة التركية المقاتلة هناك دور في نشر الإسلام، وقد جاءت هذه الفرقة مع الفرق الأخرى من قبل الأمم المتحدة لدعم كوريا الجنوبية من الغزو الشمالي، ثم أخذ الإسلام ينمو ببطءٍ ويُؤمل انتعاشه بعد إقامة المركز الإسلامي هناك في «سيؤول».

أما السواحل التي قبل ماليزيا، واندونيسيا والتي كانت تمرّ منها السفن

الإسلامية فقد انتشر فيها الإسلام بنسبٍ مُتفاوتةٍ حسب الميناء، وموقعه، ومدة الإقامة فيه، والمنتجات في ظهيره، والبضائع التي تُستهلك في المنطقة. لقد انتشر الإسلام على سواحل الهند الغربية في جزر «لاكاديف» بنسبةٍ كبيرةٍ حيث كانت محطةٍ طبيعيةً، كما انتشر على سواحـل منطقة «بومباي» نتيجة كثرة الاستهلاك وشراء البضائع المحمولة إليها، وإن لم تكن محطةً أساسيةً إلا أن السفن المنطلقة إليها تكون خاصةً بها، ولم تطل مُدّة إقامة التجار فيها لسرعة عمليات المبادلة التجارية، ولذا لم تزد نسبة المسلمين فيها على ٩٪، أما السفن المتجه إلى جنوب شرقي آسيا فإنها تنطلق إلى جزر «لاكاديف» لذا فقد إنتشر الإسلام فيها، وبلغت نسبـة أتباعه فيها ٩٤٪، ثم تتحرّك السفن إلى جنوب الهند حيث تضطر إلى التوقّف للتزوّد باحتياجاتها، وأخذ بعض الراحة، وربما قامت فيها بعض الأعمال التجارية، وقد وصلت نسبة المسلمين هناك إلى ٢٠٪، وتتجه السفن بعدها إلى السواحل الشرقية للهند ولكن لا تسير مُوازيةً لها مسافة طويلة بل تتركها مُتجهةً إلى الشرق مُبتعدةً عن تقعرٌ خليج البنغال، وربما توقّف بعضها في «مدراس» إن كانت هناك حاجة للتزوّد باحتياجاتها من جنوبي الهند، وتنطلق إلى «مدراس» لتوجيه خط سيرها، وهي ليست بحاجةٍ إلى تزوُّد من جديدٍ، لذا كانت نسبة المسلمين قليلةً في «مدراس» ولا تزيد على ٥٪ من مجموع السكان.

وكلما اتجهنا شمالاً قلّت نسبة المسلمين، وهكذا تبقى سواحل الهند الشمالية الشرقية قليلةً من أتباع الديانة الإسلامية، غير أن ارتفاع نسبة المسلمين في البنغال إنما جاء نتيجة الفتح حيث فتح الغوريون - كما سبق أن ذكرنا - البنغال في القرن الســادس الهجـري، وكـذا تبقى سواحل «بورما» و «تايلاند»، ثم تعود نسبة المسلمين للارتفاع في «فطاني» و «مالاقا» المرفأ الغربي لما ليزيا وذلك لمرور السفن من تلك السواحل بعد أن تكون قد قطعت مياه خليج البنغال، وأصبحت بحاجة إلى الراحة والتزوّد بالحاجات الأساسية.

وبعـد أن تلتفّ السفن حول شبه جيرة ماليزيا، تعود نسبة المسلمين قليلة للسبب نفسه إذ تتقعر سواحل «تايلاند» و «كامبوديا» بتقدّم مياه خليج «سيام» في داخل اليابس، هذا إلى جانب ما تُلقيه الأنهار الموسمية الغزيرة من مجروفات في مياه البحـر، ونصـل بعدها إلى سواحل «فيتنام» وقد تحدّثنا عنها، غير أن

سواحلها الشمالية مقعرة حيث يقع خليج «طونكين» فلا تمّر السفن عليه، ولا تقف في محطات هناك، وهذا ما حال دون انتشار الإسلام بتلك الجهات، وبعدها تبدأ سواحل الصين.

وهكـذا وجـدت أقليّات مُسلمـة نتيجة التجارة البحرية والدعوة على طول سواحل قارة آسيا الجنوبية، والجنوبية الشرقية، وبعض الشرقية، ولم يعمّ الإسلام سوى الأجزاء التي كانت آخر المحطات التجارية، أو تقصدها البواخر وتكون هدفاً لها لمنتجاتها، وهي «أندونيسيا» و «ماليزيا»

التجارة البرية والدعوة

أما في الداخل فقد انتشر الإسلام فيه وخاصة في البلدان الشاسعة كالصين والهند عن طريق التجارة البرية، والدعوة، وربما أسهمت الحكومات في العمل لدعم ذلك الانتشار فيها إذا كانت بأيدي المسلمين سواء أرغب أصحابها في ذلك أم لا لأن للحكومة هيمنة تُشجّع على الإقبال على عقيدة من بيدهم السلطة.

انتشر الإسلام في الصين ببطءٍ، ونلاحظ أن النسبة العامة للأقلية المسلمة تقل كلما تعمقنا في داخل الصين مُبتعدين عن حدود أمصار العالم الإسلامي إلا أن وجُود دُعاة في منطقةٍ استطاعوا بذل الجهد ووُفّقوا في العمل فعندها ترتفع نسبة المسلمين قليلاً كما هي حال ولاية «يونّان» التي تزيد نسبة المسلمين فيها على ٣٠٪ من مجموع السكان على حين أن نسبة المسلمين في الصين عامة لا تزيد على ١٠٪ من مجموع السكان. ولقد نشط المسلمون في العهد المغولي الذي امتدّ من ٦٨٥ ـ ٧٦٩هـ حيث انتقلت مجموعات من المسلمين من تركستان وكانت بينهم أعداد من الدعاة إلى الصين إذ كان المغول يُسيطرون على المنطقتين.

وفي الهند انتشر الإسلام في الشمال بين السند والبنغال نتيجة سير الفتوح، وتوزّع المسلمون في أرجاء الهند كلها عندما آل إليهم حكمها فقلّ الفرق بين النسب المتباينة، وتصل نسبة المسلمين عامة في الهند إلى ١٤٪.

وانتشر الإسلام في داخل بورما بوصول بعض المسلمين إليها عندما غزاها التتار المسلمون.

وهكذا فإن المناطق كلها التي انتشر فيها الإسلام في آسيا بعد القرن الثالث الهجري بقي المسلمون فيها أقليات باستثناء منطقة البنغال التي فتحها الغوريون في القرن السادس الهجري وأندونيسيا وماليزيا اللتين كانتا آخر محطات التجارة البحرية وقامت فيهما أمارات مسلمة، وجزر المالديف التي عمّها الإسلام بالدعوة التي كانت عن طريق الدعاة الذين وصلوا إليها مع التجار.

انتشار الاسلام في إفريقية

فتح المسلمون الأوائل مصر وبلاد المغرب، وتبعت هذه المناطق الدولة الإسلامية فلم يبق فيها بجانب المسلمين إلا أهل الكتاب، وتوقّفت الفتوحات، غير أن الإسلام قد أخذ طريقه إلى باقي أرجاء القارة بصُورٍ مُختلفةٍ ونسبٍ مُتباينةٍ.

التجارة البحرية

كما إتّجه المسلمون نحو جنوب شرقي آسيا عن طريق البحر فإنهم قد اتّجهوا نحو شرقي إفريقية حيث تطلّ هذه القارة على البحر نفسه «المحيط الهندي»، وقد كانت أكثر مواقع شرقي إفريقية آخر محطات السفن الإسلامية، وهذا ما جعل الإسلام يعمّ تلك السواحل حتى خط العرض ٢٠ جنوباً حيث كانت مدينة «سُغاله» آخر المحطات لهم جنوباً.

وقد ساعدت الإمارات الإسلامية التي قامت في شرقي إفريقية في عدة أماكن على نشر الإسلام، ولكنه بقي محصوراً على السواحل وذلك لأوضاع السكان في الداخل، وظروفهم الاجتماعية، وطبيعة المناخ. وتوقف المدّ الإسلامي أثناء سيطرة الاستعمار الصليبي البرتغالي. ولكن هذا الاستعمار بقيت جذوره ظاهرةً فأمكن اقتلاعه بسهولةٍ حيث لم يتعمّق داخل البر الإفريقي.

عاد النشاط الإسلامي إلى شرقي إفريقية بعد زوال الاستعمار الصليبي البرتغالي وانتقل كثير من العمانيين إلى هناك وأصبح شرقي أفريقية يتبع دولة عمان. وانتبه المسلمون إلى خطئهم السابق بالبقاء في المناطق الساحلية، وهو الخطأ الذي وقع

فيه البرتغاليون مما سهّل طردهم، لذا فقد شجّع السلاطين التجار المسلمين على الولوج إلى داخل إفريقية وقدّموا لهم الحماية، فتعمّقوا في الأدغال وتمكّنوا من الوصول إلى ضفاف نهر الكونغو حيث نشروا الإسلام هناك، كما نشروه على طول الطرق التي سلكوها، ونشأت أقلّيات مُسلمة في داخل تنزانيا، وفي رواندا، وبورندي، وزائير، ونمت مع الزمن نتيجة الدعوة، وبقيت هذه الأقلّية ضمن سكانٍ من الوثنيين يمكن التأثير عليهم بسهولة لتأخّرهم، وسذاجتهم ونظرتهم إلى المسلمين نظرة الأعلى غير أن الاستعمار الصليبي لم يلبث أن بسط نفوذه على تلك الأرجاء فوقف في وجه المدّ الإسلامي، وبذل كل إمكاناته المادية والعلمية لهؤلاء الوثنيين ليحوّلهم إلى النصرانية، وانتقلت جموع الإرساليات التنصيرية إلى إفريقية تقدّم الإغراءات لإبعاد الوثنيين عن الإسلام، ونجحت إلى حدٍّ ما فقلّ الإقبال على الاسلام، واعتنق بعض الوثنيين النصرانية، ورغم كل هذا فلا يزال الإسلام يجد طريقه إلى قلوب وعقول سكان القارة الأصليين حيث أنه دين الفطرة ينسجم مع النفس البشرية وما ترغب فيه وتعمل له، والصراع قائم بين النصرانية والإسلام في هذه القارة، ولا يزال التفوّق للإسلام. ويخشى من غلبة النصارى إن استمر الإهمال الإسلامي إذ غدا الدعم أساساً والإعلام ضرورةً ملحةً.

التجارة الداخلية

غدا شمال الصحراء الكبرى بلاداً إسلاميةً على حين بقي جنوبها بعيداً عن الأثر الإسلامي وإن كان قد ولج بعض المسلمين إليها، وتعمّق بعضهم في فيافيها، غير أن ذلك كان على مستوىً محلّي، ولما كانت منتجات الشمال تختلف عن حاصلات الجنوب لذا فقد أخذ التجار المسلمون بعد توقّف الفتوحات يحملون البضاع من شمالي إفريقية ويتعمّقون داخل الصحراء حتى يصلون إلى بلاد الزنج فيُقايضون السكان هناك، ويعودون بأحمالٍ من حاصلات جنوبي الصحراء، كما كان الملح يُشكّل مادةً تجاريةً جيدةً تُنقل من الصحراء إلى شماليها. وكان التجار ينتقلون ضمن قوافل كان لرجالها الأثر الكبير في نقل الإسلام من الشمال إلى الجنوب.

وانتشر الإسلام على طول تلك الطرق التجارية التي كانت تجتاز الصحراء إذ كانت أكثر من طريق فوادي النيل طريق طبيعية في الشرق، وهامش الصحراء

من الغرب مثلها، إضافة إلى الطرق التي كانت تقطع الصحراء، وعمّ الإسلام تلك الجهات، ومن أطراف الصحراء من ناحية الجنوب تعمّق المسلمون داخل الغابة ونشروا دينهم بين قبائل تلك النواحي.

وهكذا نلاحظ أن الدول الصحراوية، والتي تقع إلى الجنوب منها وتضمّ أجزاء من الغابة كلها أمصار إسلامية وترتفع فيها نسبة المسلمين إلى أرقام عاليةً. أما في الغابة فتعيش أقليات إسلامية بين وثنيين، وكلّما تعمّقت أجزاء الدولة في البر الأفريقي من خليج غينيا في غربي إفريقية كانت نسبة المسلمين أكثر ارتفاعاً، أو أن نسبة المسلمين تزدادا كلما اتجهنا شمالاً.

ويجب ألا ننسى دور الإمارات التي نشأت في المنطقة في نشر الإسلام، وأهمها إمارات «الهاوسا» التي قامت في النيجر وشمالي نيجيريا، ، إمارة «عثمان دونفديو» الفولانية في شمالي نيجيريا أيضاً.

الحيــاة القبليــة

تعرف الحياة القبلية بأنها حياة تنقل وراء المرعى والخصب، والقبائل التي تعيش على هامش الصحراء الكبرى من الجنوب تنتقل بين الشمال والجنوب، فإذا نزل الغيث، وجادت السماء، وأعطت الأرض خيراتها اتجهت القبائل نحو الشمال إلى أطراف الصحراء، وهناك تتصل بالمسلمين، وتأخذ منهم حاصلات بلادهم وتُعطيهم من منتجات حيواناتهم، وربما تأثرت بإسلامهم بل كثيراً ماكان يحدث هذا، فإذا ما انتهى فصل الغيث والخير، وجفّت أعشاب أطراف الصحراء بلظى الشمس المحرّقة تحرّكت القوافل نحو الجنوب حتى تصل إلى أطراف الغابة وربما ولجت فيها لتنال بعض ماتنتجه، ولترعى حيواناتها، ولتعيش في ظلّ الغابة وأحراجها. وإذا كانت قد تأثّرت بالإسلام فإن ذلك يُلاحظ على سلوك أفرادها وعاداتهم، ويسأل من يحتك بأبناء القبيلة عن سبب هذه التغيّرات، ويعرفون أن الإسلام كان السبب، وربما راق لهم ذلك فاعتنقوه، أو تأثّروا به، ومع الزمن يصبحون من أتباعه.

وللحياة القبلية بعض الجوانب الإيجابية في انتشار الإسلام فإذا ما أسلم زعيم القبيلة لم يلبث بقية الأفراد أن يدخلوا في الإسلام، وهذه ما نُلاحظه إذ أن القبيلة

التي تعتنق الإسلام قلّما يوجد فيها أفراد لايدينون به إن كانت تعيش في منطقةٍ مكشوفةٍ، كما كانت ديارها تشمل أجزاء من الغابة فإن الذين يعيشون داخل الغابة يكونون معزولين نسبياً عن بقية أفراد القبيلة، وربّما بقي بعضهم على وثنيته، وأسلم بعضهم الآخر، فكل مجموعةٍ منعزلةٍ كانت لها عقيدة خاصة بها، وليس من الضرورة أن يكون الوثنيون الذين يعيشون في الغابة والذين ينتمون إلى قبيلةٍ واحدةٍ أن يتبعوا طوطماً واحداً يعدّون أنفسهم يرجعون في أصولهم إليه، لا، وإنما كل مجموعةٍ مُنعزلةٍ تعيش في وسطٍ معينٍ في الغابة تتبع طوطماً يختلف عن طوطم جيرانها.

وعندما جاء الاستعمار الصليبي بذل جهده الواسع للفصل بين الجنوب والشمال كي لا يتسرّب أثر الإسلام إلى قبائل الجنوب، بل عمل على عزل مجموعات القبيلة الواحدة بن المسلمين منها وغير المسلمين حتى لا يكون بينهم احتكاك فلا يتأثّر الوثنيون بأبناء جلدتهم من المسلمين.

الــدول

لقد نشأت دول إسلامية في غربي إفريقية، وكان لها دورها الكبير في نشر الإسلام، وربما كان أول هذه الدول وأكثرها أثراً دولة المرابطين التي نشأت في منتصف القرن الخامس الهجري، وإذا كان دورها قد برز في ناحية الشمال، باجتياز بحر الزقاق، ودخول الأندلس لمساعدة أهلها، والوقوف بجانبهم أمام الطغيان الصليبي، وانتصارهم على الإسبان الصليبيين في معركة الزلّاقة المشهورة عام ٤٧٩هـ، والمحافظة على وضع المسلمين في الأندلس مدةً، فإن دورهم وأثرهم في ناحية الجنوب لا يقلّ عن هذا أبداً بل يفوقه إذ اتجه بعضهم نحو الجنوب، وعملوا على نشر الإسلام، وأرسلوا الدعاة إلى جهات إفريقية الغربية كلها، وبنوا الرباطات في كثيرٍ من المناطق، وقد وصل أثرهم إلى منطقة الغابون، ولا تزال بقايا آثارهم حتى هذا اليوم.

ودخل المرابطون عاصمة إمبراطورية غانة القديمة «كومبي صالح» عام ٤٦٩هـ ودانت لهم دولتها، التي لم تلبث أن استقلت عنهم بعد وفاة زعيم المرابطين في الجنوب أبوبكر بن عمر اللمتوني، غير أن مملكة غانا الجديدة قد أخذت على

عاتقها الدعوة إلى الإسلام، وأعلنوا ارتباطهم بالدولة العباسية، وكثرت المساجد، وألحق بكل مسجدٍ مدرسة لتعليم الدين، واللغة العربية التي غدت الرسمية في التجارة والثقافة.

وقامت مملكة «مالي» في المدة ٦٣٩ - ٨٩٤هـ، وعملت على نشر الإسلام أيضاً، وقد أبحر بعض ملوكها في المحيط ليكشف ماوراءه، ولم يعد، ويعتقد أنه وصل إلى أمريكا الجنوبية وعاش هناك مدةً، وبقي بعض أحفاد من وصل معه إلى أمريكا ومن أسلم على أيديهم حتى جاء الاستعمار الصليبي أيام ما عُرف بالكشوف وأباد المسلمين هناك.

ونهضت مملكة «الصنغاي» بالمهمة نفسها، ثم قامت عدة إمارات التي منها «البامبارا» برئاسة «ساموري توري» الذي اتخذ لقب إمام، وقبض عليه الفرنسيون عام ١٣١٦هـ، وإمارة «الفولاني» برئاسة الحاج عمر الذي قُتل عام ١٢٨١هـ، غير أن أبناءه قد اختلفوا فيما بينهم، واصطدم بعضهم مع بعضٍ، ونشبت الحروب بينهم مما أضعف شأنهم، وقد هُزم آخرهم وهو الأمير أحمد على يد الفرنسيين عام ١٣١٦هـ.

وعندما أخذ المستعمرون الصليبيون يلجون داخل إفريقية كان همّهم الأول قتل الزعماء والأعيان والعلماء الذين يمكن أن يلتفّ حولهم الناس خوفاً من قيام إماراتٍ ودول يمكنها حشد الناس، والوقوف في وجه المستعمرين الصليبيين وقتالهم، وإذا خشوا من نتائج القتل قاموا بنفي الوجهاء إلى أماكن بعيدةٍ لا يعرفهم أهلها، وهذا ما يمنع أثرهم، ويحول دون اتحاد المسلمين.

العمـــــال

منذ أن تمكّن المستعمرون الصليبيون من بسط نفوذهم على معظم أجزاء القارة الإفريقية أخذوا يُفكّرون في استغلال خيراتها واستثمار ثرواتها غير أن هذا يحتاج إلى عمال عندهم القدرة على العمل والمعرفة فيه، والمشكلة أن سكان كثيرٍ من جهات إفريقية وخاصةً الحارة منها يغلب عليهم الخمول، وليس لديهم النشاط الكافي للقيام بالأشغال بل ولا الرغبة، وإذا كان المسلمون من الإفريقيين يمكنهم العمل غير أن الصليبيين لا يريدونهم لأنهم إنما يريدون إفقارهم فلا يمكن أن

يجدوا لهم عملاً، ويرغبون في إذلالهم فلا يمكن أن يهتمّوا بهم، لذا فكّروا بجلب عمالٍ من مستعمراتهم لزراعة القطن الذي تحتاج إليه معاملهم في أوربا، ومدّ السكك الحديدية من الساحل إلى الداخل لإمكانية نقل الجنود وبسط النفوذ على وسط القارة، ولتسهيل نقل حاصلات الداخل إلى المرافيء لشحنها إلى بلادهم، واستقدمت انكلترا، التي استعمرت أكبر جزءٍ من إفريقية، العمال من الهند، وكان بينهم عدد المسلمين، ولم تبال انكلترا بهذا على أنهم أُجراء، ضعفاء، غرباء غير أن بعضهم قد استقر فشكّل أقليةً مسلمةً رفدها الذين اعتنقوا الإسلام بتأثير هؤلاء العـمال وغـيرهم. ومـافعلته انكلترا فعله بقية المستعمرين الصليبيين من فرنسيين، وهولنديين وغيرهم إذ كانت لأكثر الدول الأوربية النصرانية مستعمرات في بلاد المسلمين أو تضمّ أقلياتً منهم.

إن هؤلاء العمال المستقدمين رغم أوضاعهم وغربتهم كان لهم تأثير على السكان لأن الإسلام دين الفطرة تتفق مبادئه مع طبائع النفوس ورغباتها.

ويمكن ملاحـظة هذه الأقلية المسلمـة من العـمال وخـاصةً الهنود منهم في المستعمرات الإفريقية الانكليزية مثل كينيا وشرقي إفريقية عامة.

الجنـــــود

كان للجنود المصريين الذين أرسلهم إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي حاكم مصر إلى منطقة أوغنده عندما أراد أن يُوسّع أملاكه ويمدّ نفوذه إلى منابع النيل كان لهم دور في انتشار الإسلام في تلك الجهات.

وكان للجنود الذين جنّدتهم هولندا من أندونيسيا وماليزيا أثر في نشر الإسلام في جنوبي إفريقية وكذلك للجنود الهنود الذين عملوا في جيوش انكلترا لإخضاع، ودخول قلب إفريقية، والقضاء على بعض الحركات أحياناً.

وقد جنّدت معظم الدول الاستعمارية الصليبية جنوداً في مُستعمراتها وزجّتهم في الحروب التي خاضتها في إفريقية خلال المراحل كلها، فكان من المسلمين منهم أثرهم سواء أعاشوا مدة قصيرةً بين سكان القارة واحتكّوا بهم أم استقرّوا هناك وأضحوا جزءاً من أهل البلاد ولهم تأثيرهم على الوسط الذي يعيشون فيه.

الدعـــاة

رافق هذه المجموعات كلها عدد من الدعاة، وربما كان بعض أفرادها دعاةً إذ كثيراً ما يعمل المسلم داعيةً وهو يُمارس مهنةً مُعيّنةً مهما كان وضعها الاجتماعي أو تصنيفها ما دام يعتقد أن الدعوة أمر واجب عليه، وربما اتّخذ مهنته وعمله وسيلةً للصلة بالناس حتى يدعوهم، وهو أثناء هذه الصلة يتحبّب إليهم ويُريهم مُعاملة المسلم وسلوك الرجل الملتزم بتعاليم دينه من أبناء هذه الأمة.

ويتفرغ الذين تسمح لهم حالتهم المادية بالعمل للدعوة فيسيرون مع القوافل التجارية، وقد تكون لهم أموال مع التجار، وغالباً ما يكون أكبر وقت التجار وهمّهم منصرفاً للدعوة، فظروفهم المادية تسمح لهم، وليست التجارة سوى وسيلةٍ للارتحال والصلة والوصول إلى أماكن لا تزال بكراً لم يصل إليها الإسلام، فينالون الأجر، ويحصلون على المال الذي يُساعدهم في تأدية مُهمّتهم. وقد يتزوجون هناك من بنات الذين دخلوا بالإسلام لتتوطّد صلتهم بأسر وأقرباء الزوجة فيتعرّفون عن قربٍ على الإسلام وسولك أبنائه ومعاملة أهله، فلا يلبثون أن يدخلوا بالإسلام.

ومن الجنود ماهم دعاة، ومن العمال دعاة، وكل مسلمٍ داعية وإن لم يكن على معرفةً كافيةٍ من العلم تُؤهّله للعمل فسلوكه وأخلاقه رمزٌ وصفة لعقيدته.

ويجب ألا ننسى تلك الجماعات التي هيّأت نفسها للدعوة، فكانت تبني الزوايا في المناطق التي تقع على هامش ديار الإسلام ليعمل أتباعها على نشر دينهم، وإن اختلفت الطرق والوسائل وربما وجدت مفاهيم لا تتفق دائماً وتعاليم الإسلام، وربما نستطيع أن تعدّ هؤلاء الذين يقبلون هذه الأفكار أنهم في مرحلةٍ سابقةٍ للدخول في الإسلام أو أنهم في مرحلة التهيئة أو الموافقة دون الالتزام الذي سيأتي في المستقبل.

وهكذا وجدت أقليات مسلمة في مناطق إفريقية وبلدانها كلها فإضافة إلى أمصار العالم الإسلامي التي تمتدّ في شمالي القارة، ومنطقة الصحراء، وإفريقية الغربية، وعلى هامش الغابة، ويتناثر بعضها في شرق إفريقية نُلاحظ أن بقية

الجهات تضمّ كلها أقلياتٍ مسلمةً، وإن كانت تختلف بنسبها وأعدادها، والنسب ترتفع في شرقي القارة، وما بقي من دول غير إسلاميةً في غربي إفريقية وهي: لبيريا، وغانا، وتنخفض في الوسط والجنوب نتيجة تأخّر وصول المسلمين إليها.